سنن الله لا تُحابي أحداَ

الخميس 29 مايو 2014 12:05 م

صادق أمين

أخي الثـائر لاـ يغرنك تقلُّب العسـكر في البلاد ؛ متاع قيل و لسوف تصـفعه الأقـدار في قسوة؛ لتنتقم لنا، مها بـدا لك أن هناك فرقا شاسـعا في ميزان القوة بيننا و بينه.

لأنه ـ و الكلام للـدكتور "عبـد الكريم بكار "ـ (حين ينسـى الإنسان خالقه و بداية وجوده و نهايته و ضـعفه الشديد أمام عوادي الزمان؛ فإنه يصـبح من اليسير عليه أن يغرق في شبر من قوة).

إذ الباطـل لاـ يثبت أمـام الحق؛ لأن أحكام الباطل مؤقتـة لا ثبات لها في ذاتها، و إنما بقاؤها في نوم الحق عنها، و حكم الحق هو الثابت بـذاته فلا يغلب أنصاره؛ ما داموا معتصمين به مجتمعين عليه.

و ما كانت المصائب إلا لتنبه القوى الكامنة في المُعتدَى عليه؛ ليعرف نفسه و كُنْه استعداده؛ ليكون على بصيرة من حاله و حال خصمه.

إذ قضت مشـيئة الله ـ و الكلام للأسـتاذ " سيد قطب "ـ (أن ينتشر هذا الدين وفق ما يقدمه البشر من مجهود و في حدود طاقتهم البشرية و أن يكون ما يقدمه المؤمنون الصادقون من جهد وعمل ستارا لقدرة الله).

ذلـك أن سـنن الله لا تحابي أحـدا؛ فتسـري على البر و الفاجر، و لكن لا ينتفع بها المعانـدون إنما يتعظ بها المتقون؛ و لـذلك قال جل ثناؤه: (و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

إن كنت مؤمنين بأن ((كل صـغيرة و كبيرة مخلوقة بقدر، مصرفة بقصد، مدبرة بحكمة؛ لا شيء جزاف، لا شيء عبث، لا شيء مصادفة، لا شيء ارتجال، و صدق الله (إنا كل شيء خلقناه بقدر).

ذلك كي لا يكون النصر رخيصاً؛ فتكون الدعوات هزلا؛ إذ لو كان النصر رخيصا لقام في كل يوم دعيٌّ بدعوة لا تكلفه شيئاً أو تكلفه قليلا .

و إن الدعوة إلى الحق و العدل ليست تجارة قصيرة الأجل؛ إما أن تربح ربحا معينا محددا في هذه الأرض وإما أن يتخلى عنها أصحابها إلى تجارة أخرى أقرب ربحا وأيسر حصيلة !

فالـذي ينهض بواجبه يجب أن يوطن نفسه على أنه لا يقوم برحلـة مربحة ولا يقوم بتجارة مادية قريبة الأجل ! إنما ينبغي له أن يستيقن أنه يواجه طواغيت يملكون القوة والمـال ويملكون اسـتخفاف الجمـاهير حتى ترى الأـسود أبيض والأـبيض أسود ! ويملكون تـأليب هـذه الجماهير ذاتها على أصحاب الحق ؛ باستثارة شهواتها وتهديدها بأن أصحاب الحق يريدون حرمانها من هذه الشهوات !

ويجب أن يسـتيقنوا أن الـدعوة إلى الحق كـثيرة التكـاليف وأن الانضـمام إليهـا كـثير التكـاليف أيضـا وأنه من ثم لاـ تنضم إليهـا - في أول الأـمر - الجماهير المستضـعفة , إنما تنضم إليها الصـفوة المختارة في الجيل كله , التي تؤثر حقيقـة هذا الحق على الراحة والسـلامة وعلى كل متاع هذه الحياة الدنيا وأن عدد هذه الصفوة يكون دائما قليلا جدا .

ولكن الله يفتـح بينهم وبين قومهم بالحق , بعـد جهاد يطول أو يقصـر وعندئـذ ـ فقط ـ تـدخل الجماهير في دين الله أفواجا)) . الظلال / يوسف" بتصرف"

فقط حوِّلوا وجوهكم عن جهة ما خسـرتم وولوها جهة ما يستقبلكم و انهضوا بالعزيمة و الحزم مع التوكل على الله، كما فعل قتيبة الباهلي عندما توغل في آخر الشـرق و أبى إلا أن يدخل الصين ؛ فقال له أحد أصحابه محذرا مشفقا : (لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة و الحوادث من أجنحة الدهر تقبل و تدبر).

فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : (بثقتي بنصر الله توغلت، و إذا انقضت المدة لم تنفع العدة).

فلما رأى المحذر عزمه و تصميمه على المضي لإعلاء كلمة الله قال له: (اسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة فهذا عزم لا يفله إلا الله).